

## التطور التاريخي للمؤسسات التعليمية في العراق

## The historical development of educational institutions in Iraq

م.د.محمود صالح عبد

أ.م.د.غصون مزهر حسين

Lectur. Dr. Mahmoud Saleh

Asst. Prof. Dr. Ghsoon Mezher Hussein

المديرية العامة لتربية صلاح الدين / الشرقاط

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

General Directorate of Education in Salah al-Din, Sharqat

Al-Mustansiriya University, College of Arts

## الملخص

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الدور المحوري الذي تلعبه المؤسسات التعليمية في صياغة الملامح الحضارية لأي دولة عبر التاريخ، يُعتبر التعليم أساساً رئيسياً في تطور الأمم وازدهارها، إذ يُقاس تطور أي بلد بمستوى نظامه التعليمي وجودته. فمن خلال التعليم، ترتقي المجتمعات إلى أعلى مراتب الرقي والعطاء الحضاري.

تتمثل أهمية هذا البحث في استعراض الدور التاريخي والتطور التدريجي للمؤسسات التعليمية في العراق منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث. يبدأ البحث باستعراض نشأة الكتاتيب، حيث تعلم الأطفال القراءة والكتابة، مروراً بظهور المدارس الدينية، ثم تطور الأمر مع ظهور مدارس الإرساليات التبشيرية في ظل رعاية الدول الأوروبية. ومع مرور الزمن، شهد العراق تأسيس المدارس الرسمية والجامعات التي ساهمت في بناء منظومة تعليمية متكاملة

(الكلمات المفتاحية ( العراق ، تاريخ ، التعليم ، مؤسسات التعليم ، حضارة)

## Abstract

This research seeks to shed light on the pivotal role played by educational institutions in shaping the civilizational features of any country throughout history.

Education is considered a major foundation in the development and prosperity of nations, as the development of any country is measured by the level and quality of its educational system. Through education, societies rise to the highest levels of sophistication and civilizational giving. The importance of this research lies in reviewing the historical role and gradual development of educational institutions in Iraq from ancient times to the modern era. The research begins by reviewing the emergence of the Kuttabs, where children learned to read and write, through the emergence of religious schools, then the matter developed with the emergence of missionary schools under the auspices of European countries. Over time, Iraq witnessed the establishment of official schools and universities that contributed to building an integrated educational system.

**Keywords (Iraq, history, education, educational institutions, civilization)**

## المقدمة

يُعد التعليم من أهم الركائز التي تبني عليها الأمم حضاراتها، وهو العامل الأساس في تحقيق التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. والعراق، باعتباره أحد أقدم مراكز الحضارة الإنسانية، كان له دور ريادي في تطور التعليم منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر. فقد عُرف العراق في العصور القديمة بمؤسساته التعليمية المتمثلة بالمدارس السومرية والبابلية التي خرجت علماء في مجالات الفلك والرياضيات والقانون، وكان اسمه يرتبط بالعلم والمعرفة في كل أرجاء العالم القديم.

أما في العصر الحديث، فقد مر التعليم في العراق بمراحل متعددة، تأثر فيها بالتحولات السياسية والاجتماعية. ومع أن العراق شهد تطوراً كبيراً في نظامه التعليمي خلال القرن العشرين، إلا أنه واجه تحديات كبيرة في العقود الأخيرة نتيجة الحروب وعدم الاستقرار.

ان التعليم يعتبر عامل اساسي ورئيسي ومباشر في مجال كشف اي وضع لأي دولة كانت على اختلاف الزمان والمكان لها ، لاسيما ان التعليم هو ركيزه مهمة في حياة الشعوب والأمم وعن طريقة ترتقي المجتمعات والشعوب الى أعلى مستويات الرقي والعتاء الحضاري ، أذ ان القياس الحقيقي لمعرفة تطور اي بلد من البلدان لا يتم الا بمعرفة مستوى التعليمي لذلك البلد.

**اولاً : التعليم في العراق القديم**

لقد شهد بلدنا العراق اول نظام تعليمي في العالم بكامله، اذ أن جذور المعارف البشرية والحضارة المتعلمة بدأت في ارض الرافدين، فمع اكتشاف الكتابة في ارض سومر بدأت اسس الحضارة وكان التعليم أحد تلك المعارف إذ نشأ وتطور بعد ان قطعت بلاد الرافدين مرحلة متقدمة في التقدم الاجتماعي والاقتصادي ، وخاصة مع نمو المدن الرئيسية مثل اوروك ونيبور واور وبابل وغيرها من المراكز الحضارية في بلاد الرافدين، حيث شيدت على أرضه اول مدرسة منظمة ذات مناهج وبرامج دراسية متخصصة، وكانت تلك المدرسة في عهد حمورابي مابيت 1750-1792 ق.م.، في مدينة سبأ والتي تقع حالياً بالقرب من المحمودية (كريم، 1973، صفحة 329).

كانت اماكن العثور على النصوص المسمارية في مراكز المدن حيث يقتصر التعليم على سكان المدن الرئيسية ، حيث ان الوسائل التي يتم فيها اكتساب مهارات التعليم كانت موجودة في المدن (النعيمي، 2001، صفحة 9)، وقد كانت الحال كذلك في العراق الى وقت قريب اذ كانت معظم مراكز التعليم من مدارس ومعاهد وكليات تقتصر على المدن الرئيسية وبخاصة العاصمة بغداد.

أن المصادر التاريخية تبين لنا عن طريق المعلومات بخصوص المدارس في الشرق الاوسط من نهاية العهد السومري الاكدي ، وتؤكد وجود مؤسسات تعليمية رسمية في زمن اقدم تاريخياً ، وأن اول مصطلح للمدارس تم تسجيله في العراق خلال الالف الثالث قبل الميلاد من خلال وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين (لوكاس، 1980، صفحة 17).

كان لاهمية الكتابة عند العراقيين القدماء وتقديسهم لها واحترامهم لمن يعرف استخدامها انه اوكلوا كل ما يتعلق بالكتابة وتعلمها الى الالهة ، واصبح العلم والمعارف تحت اشراف الالهة "انكي" الذي يعني بالسومرية "سيد الارض" ، واصبح الاسم في اللغة الاكادية "أيا" وهو اله المياها وكان حليفه الاله "نبو" الى الاله "مردوك" ابو المعرفة، وهو سيد فنون الكتابة وحامي المدرسة وكان يوصف بأنه الذي يمسك بالقلم المقدس والذي يحمل الرقيم الخاص بالمراسيم الالهية والذي يمسك بكتاب لوح الحياة ، وكانت الالهة "ينسابا" ذات علاقة بالكتابة فهي المشرفة على تدريب المتعلمين والمسؤولة عن معرفة الكتابة الى جانب كونها الهة الحكمة (النعيمي، 2001، صفحة 11).

لقد كانت المدرسة السومرية تعرف بكلمة "ايديوبا" أي "بيت اللوح" وكان هدفها الاساسي ما يطلق عليه "التخصص المهني" اي تدريب الكتبة ، ثم تطورت واصبحت مركز للثقافة والمعرفة في بلاد سومر واصبحت المدرسة التي بدأت كملحق للمعبد الى مؤسسة دنيوية، وهكذا نضج وازدهر النظام المدرسي السومري خلال

النصف الاخير من الالف الثالث قبل الميلاد حيث اكتشفت عشرات الالوف من الواح الكتابة الطينية توضح انها كانت ذات طابع اداري يشمل جميع اوجه الحياة الاقتصادية عند السومريين والتي دونت بايدي كتبة متعلمين ومخصصين للمعابد والديوان الملكي والادارة لذا كان وجود المدارس لاعداد هؤلاء الكتبة (كريم، 1973، الصفحات 330-331).

يعد المعبد المدرسة الاولى والكهنة المعلمين الاوائل والمؤسسين الفعليين لمراكز التعليم ، أو تكون المدرسة ملحقة بالمعبد مثل ما تم العثور عليه في معبد الالهة "انليل" في مدينة نيبور وتعد اقدم ما تم العثور عليه ، ويشير الى تعليم نظامي في بلاد الرافدين ، اما في الفترة البابلية كانت المدارس اما ملحقة بالقصر والمعبد او مستقلة عنهم كما تم اكتشاف ذلك في أور (النعمي، 2001، صفحة 19).

وقد تم وضع تفسيرات مهمة حول طبيعة التلاميذ في هذه المدارس السومرية من خلال ايجاد جداول للكتابة خريجي هذه المدارس التي وجدت في القصور والمعابد ، وقد دونت اسمائهم واسماء ابائهم ومهنتهم ، حيث ظهر ان ابناء الكتبة كانوا من الحكام ومن وجهاء المدينة ومن السفراء والمشرفين على ادارة المعبد ومن ضباط الجيش وكبار موظفي الضرائب ومن طبقات الكهنة ، اي انهم كانوا من اغنى مواطني المدينة وتذكر الالواح وجود كاتبة واحدة ، اي ان التعليم مقتصر على الذكور فقط (كريم، 1973، صفحة 332).

ان التعليم لم يكن متاح لجميع افراد المجتمع ، ولم يكن تعليماً إلزامياً بل اقتصر على فئة من المجتمع وهي فئة الاغنياء كما ذكرنا ، حيث كانت اهداف التعليم عند العراقيين القدماء هي لغرض الانخراط في سلك الهيئة الحاكمة للوصول الى مناصب عالية في الحكم ، ورفع المستوى الاقتصادي للفرد وتحسين حالته الاجتماعية ، وهناك من اراد التعليم للعلم فقط من ابناء الطبقة الغنية والكهنة (النعمي، 2001، الصفحات 14-15).

### ثانياً : التعليم في العراق في العهد العثماني

خلال فترة الحكم العثماني (1534-1917) والتي استمرت حوالي اربعة قرون، اذ شهد التعليم في تلك المدة التاريخية وضع حجر الاساس في بناء التعليم الابتدائي في البداية، إذ كان النظام التعليمي متأثراً بالسياسات العثمانية التي أولت اهتماماً محدوداً لنشر التعليم على نطاق واسع. كان التعليم في هذه الفترة يعتمد بشكل رئيسي على المؤسسات التقليدية مثل الكتاتيب، التي ركزت على تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. كما انتشرت المدارس الدينية (المدارس الشرعية) التي اهتمت بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، إضافة إلى بعض العلوم

الأخرى كالحساب والمنطق. ومع ذلك، كانت هذه المؤسسات تخدم شريحة صغيرة من السكان، غالباً من الذكور فقط، حيث لم يكن التعليم متاحاً للجميع بسبب قلة المدارس وندرة الموارد (الهاللي، 1959، صفحة 26).

كانت الدراسة في الكتاتيب تبدأ في عمر الست سنوات ، كذلك كانت المؤسسات التعليمية في ذلك الوقت تعتمد على شخص واحد يجيد الكتابة والقراءة ويكون حافظاً للقرآن الكريم ولديه قدره على معرفة بعض الاعمال الحسابية والاولية ، ولم تكن مدة الدراسة محدوده بمدة زمنية محددة وانما ترجع الى قدرة الصبي في التعلم وحفظ القرآن والسرعة في تعلم القراءة والكتابة والعلوم الاخرى ، لذلك فان مدة الدراسة لم تكن متساوية قد تكون سنة او اكثر حتى ثلاثة سنوات ، واذ تبين ان الطالب متفوق ومتميز عن زملائه قد يلتحق باحدى المدارس ليكمل تعليمه ولكن اعداد الطلبة المتفوقين كانت قليلة جداً (نعمةالله، 2004، صفحة 155).

لا توجد احصائية واعداد دقيقة عن اعداد الكتاتيب قديماً ، الا ان هناك اعداد مقاربه في ثمانينات القرن التاسع عشر وهي قرابة ( 300 ) كتاب يتلقى نحو ( 6000 ) من الصبيان دروسهم فيها وهي مقسمة كالتالي ( 137 ) في بغداد و ( 107 ) في الموصل في حين كانت كانت في البصرة (67) (نعمةالله، 2004، صفحة 155).

ان التعليم في الكتاتيب لم يقتصر على الذكور فقط ، وانما شمل تدريس البنات الصغار من خلال الملايات حيث اوكلت اليهم تلك المهمة ، اذ وقع على عاتق الملايات تدريس بنات الاسر الفقيرة والمتوسطة للقرآن الكريم ، فضلاً عن تدريسهم في الاشغال المنزلية واليدوية ، اذ كانت الملايات تستعين ببعض النسوة ذات الخبرة لكي يتم تعليم البنات بعض المهن ومنها الخياطة والحياسة والتطريز ، هذا من جانب اما الجانب الآخر والذي يخص الاسر الميسوره مادياً فقد كانت تلك الاسر تقوم بتخصيص بعض المعلمات في الكتاتيب لتدريس بناتهم ، فقد ساعد ذلك الامر الى كثرة كتاتيب البنات ولاسيما في المدن الدينية والعتبات المقدسة ، وذلك لوجود ملايات هناك ، كانت العاده ان تجلب البنت معها حصيره من بيت اهلها لكي تجلس عليها ، وتبقى الحصيره في بيت الملاية لاستعمالها يومياً ، ومن ابرز الملايات التي ظهرت في مدن العراق ، لاسيما في بغداد الملاية قنبوره والملاية اسماء الحاج حسن وغيرهما (العبيدي، 1970، صفحة 33).

تطورت الدراسة ومؤسساتها من خلال انشاء المدارس الدينية والتي سبقت تأسيس المدارس الحديثة والتي كانت امتداداً طبيعياً للمدارس الدينية المعروفة مثل المدرسة النظامية والمستنصرية ، اذ كانت لتلك المدارس الدينية اوقاف خاصة لها من اجل الانفاق عليها وعلى طلبتها واحتياجاتهم ، وان طبيعه الدراسة في تلك المدارس

كانت ذو طابع ديني ، اذ كانت مناهجها في الاغلب تدريس القرآن الكريم وعلوم الحديث فضلا عن اللغة العربية والشعر العربي والفلسفة وعلم المنطق والفلك (احمد، 1982، الصفحات 26-27).

سيطر السلاطين والولاة وابناء الاسرة الثرية على تأسيس تلك المدارس بدوافع عديدة منها الدافع الديني ، ان الدراسة في تلك المدارس كان لها شروط منها ان المتقدم يجب عليه اكمال تعليمه في الكتاب بالاضافة ان تلك المدارس لم يكن لها مدرء ومدرسين ثابتين ، ولم ياخذ اي اجور دراسية من الطلاب فضلاً عن ذلك لم يكن هناك موعد زمني محدد للتخرج ، بعد ان يتقن الطالب المناهج المقرره له يحصل بالمقابل على اجازة من اساتذته وشيوخه حيث يكون ذلك في احتفال رسمي يحضره الطلاب وجمهور من كبار القوم (عمر، 1984، صفحة 279).

انتشرت تلك المدارس في اغلب الولايات العراقية ، لاسيما في بغداد والموصل والنجف ، ان اعداد تلك المدارس لم تكن دقيقة ولكن اغلب المدارس ذكرت ان المدارس الدينية كان عددها في بغداد في بداية القرن العشرين حوالي (26) مدرسة ثم ارتفع العدد ليصل الى (32) مدرسة في عام 1911 ، فضلاً عن ذلك كان هناك حوالي (31) مدرسة في الموصل في عام 1899 ، وفي البصرة كان عدد المدارس الدينية قليلة اذ بلغ عددها حوالي (3) مدارس فقط ، ان المدارس الدينية بدأت بالتراجع وعدم اقبال الطلاب اليها ، نتيجة لظهور مدارس حديثة ذات اختصاصات ادق ، ومع ذلك ظلت تلك المدارس تمارس دورها نتيجة لاهتمام بعض الاهالي بالجانب الديني ، وقدر عددها في اواخر العهد العثماني حوالي (149) مدرسة (عمر، 1984، صفحة 280).

تطور التعليم في الولايات العراقية واخذ جانب اخر مهم وهو التعليم الخاص بابناء الطوائف الاخرى ، اذ تولت بعض الدول رعاية خاصة بتلك الطوائف لاسباب عديدة ، حيث ظهرت هناك مدارس للطوائف الدينية الاخرى ومنها التبشيرية التي اهتمت فيها الدول الاوروبية ، عن طريق التنظيمات العثمانية وكانت تلك المدارس لها اساليب خاصة ترجع الى سياسة الدول للتوسع في الولايات العربية ومنها العراق ، استمرت الدول الاوروبية في استغلال التنظيمات العثمانية لتدخل في شؤون العراق عن طريق تأسيس المدارس اذا قامت طائفة الارمن الارثوذكس بانشاء من مدارس متعددة للبنين والبنات ، اذ تم تأسيس اول مدرسة للبنات في بغداد عام 1853 وكان كادرها معلمتان ، حيث وصل عدد طالباتها الى 40 طالبة في العام 1893 ، اما مناهجها اقتصر على تعليم الطالبات القراءة والكتابة ، بالاضافة الى دروس الخياطة والتطريز واستمرت تلك المدرسة في عملها حتى عام 1909 (العبيدي، 1970، صفحة 44).

لقد كانت فرنسا في مقدمة الدول الأوروبية التي استغلت التنظيمات ، اذ اوفدت الى العراق رساليات تبشيرية متعددة ، اذ اتخذت من التعليم وسيلة لتحقيق اهدافها ، حيث أسست رسالية الآباء الكرملين مدارس ابتدائية لتعليم البنين والبنات ، اذ افتتحت في العام 1868 مدرسه اللاتين الاولى لتدريس البنات ، وتعد اول مدرسة من نوعها لتدريس البنات تقوم بتأسيسها البعثات التبشيرية في العراق ، حيث بلغ عدد طالباتها 56 طالبة دراستهم كانت في النهار و6 طالبات درسوا مساءً ، وتألّف كادرها التدريسي من المديرية سورماية تويزية والراهبة البير دومينك والراهبة مس ادول وسور هنري ، اما مواد التدريس فقد شملت الجغرافية والرياضيات والبيانو والرسم وتدريس ماده اللغة العربية ، ثم اعقب ذلك افتتاح مدرسة البنات اللاتينية الثانية ومدرسة البنات اليتيمات ، ليصل عدد الطالبات تلك المدارس في عام 1902 800 طالبة ، حيث قامت الراهبات الفرنسيات بادارة وتدريس تلك المدارس (العبيدي، 1970، صفحة 45).

اما ولاية الموصل فقد اخذت حيز مهم من جانب الدول الأوروبية ، اذ قامت طائفة الكلدان بانشاء 20 مدرسة ابتدائية في اوائل القرن العشرين ، حيث كان من بينهم ثلاثة مدارس ابتدائية للبنات هي مار شيعا وكرمليس وتكليف ، اذ بلغ مجموع طالبات تلك المدارس 99 طالبة عام 1903 ، ان مناهج اغلب الرساليات التبشيرية شمل اللغة العربية والفرنسية والعبرية والتركية والحساب والجغرافية والاعمال المنزلية ، اذ ساهمت تلك المدارس في نشر الثقافة في البلاد وكان الاقبال عليها اكثر من المدارس الحكومية (حسن، 1975، صفحة 396).

في النصف الثاني من العهد العثماني، وبالتزامن مع محاولات الدولة العثمانية إجراء إصلاحات إدارية وتنظيمية، أنشئت بعض المدارس النظامية (الرشدية والإعدادية) لتقديم تعليم حديث يعتمد على مناهج تشمل العلوم الطبيعية واللغات الأجنبية إلى جانب المواد الدينية. رغم ذلك، كان عدد هذه المدارس محدوداً للغاية، وغالباً ما كانت تتركز في المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة والموصل. كما واجه التعليم تحديات كبيرة، منها نقص الكوادر التعليمية المؤهلة وغياب البنية التحتية المناسبة، مما أدى إلى بقاء نسب الأمية مرتفعة بين السكان. هذا الوضع أرسى الأسس لتحديات تعليمية واجهها العراق في المراحل اللاحقة، ولكنه شكّل أيضاً بداية انفتاح نحو التعليم الحديث الذي ازدهر في العقود اللاحقة (هرشلاغ، 1973، صفحة 46) .

وفي عام 1869 صدر في الدولة العثمانية نظام المعارف العمومية الذي طور التعليم في الولايات العراقية ، اذ شكل مجالس معارف في الولايات العثمانية كذلك نص هذا القانون الى تقسيم

الدراسة الى ثلاث مراحل وهي ابتدائية ثم متوسطة رشيدية واعدادية مع المدارس السلطانية والصنائع ودور المعلمين والمدارس العالية كذلك اهتم هذا القرار بالشروط والضوابط اللازمة لتشكيل المدارس المذكوره سابقاً، كان التعليم في العراق اثناء السيطرة العثمانية مركزياً ، اذ كانت وزارة المعارف هي الجهة المسؤولة عن وضع المناهج التعليمية وتأليف المناهج الدراسية وكذلك لها الحق الاشراف على جميع التفاصيل والانشطة في المدارس لجميع المراحل الدراسية (عمر، 1984، صفحة 280).

نلاحظ ان التعليم في العراق قبل الثورة الدستورية عام 1908 ، ارتكز على الدراسة الدينية كما ذكرنا ، لذلك نجد ان السياسة التعليمية كانت غير مشجعة على تكوين نخبة مثقفة قادره على رفع المستوى الفكري في العراق ، ويرجع السبب الى ذلك لانها كانت ذات طابع أحادي التعليم المقتصر على التعليم الديني ، فضلاً عن الدعم المادي والمعنوي من قبل الولاة العثمانيين وهذا يعني امكانية تدخلهم في شؤون التعليم وسياسته.

### ثانياً: التعليم في العراق المعاصر

بعد سيطرة القوات البريطانية على البصرة في نهاية عام 1914 قامت بسلسلة من الاجراءات والتغيرات الغاية منها تعزيز سيطرتها ، اذ كانت تهدف من تلك الاجراءات هي مجيء هنري دوبس الذي استلم مهام شؤون التعليم فضلاً عن مهام اخرى.

عند دخول القوات البريطانية وجدت مدارس في البصرة ومنها دار المعلمين وثلاثة مدارس ابتدائية ، بالاضافة الى الثانوية ، فضلاً عن المدرسة الامريكية ومدرسة الكلدان ومدرسة الكلدان الكاثوليك ، اذ لاحظت قوات الاحتلال ان المدارس في حالة صعبة جداً ، اذ لا يوجد فيها كتب ولا اثاث ولا لوازم مدرسية ، اذ تطلب اصلاح تلك المدارس مبالغ كبيرة لذلك لم تهتم بها لانها كانت عندها اهداف اخرى ، لذلك توجهت السياسة التعليمية في ذلك الوقت على اعطاء الاولويه الى تظمين المواطنين وترسيخ اقدام الانكليز هناك ولم يكن لها نية في تقديم خدمات تعليمية في ذلك الوقت ويؤكد ذلك نائب الحاكم البريطاني ويلسون ، بأن هناك قراراً في مجال التعليم سوف يؤجل الى تحقيق اهدافنا العسكريه في المنطقة (المرسومي، 1986، صفحة 7).

كان مدير المدرسة الامريكية يمتلك خبره كبيرة في مجال التعليم ، لذلك اوعزت السلطات البريطانية من اجل الاستفادة من خبرته ، من اجل وضع خطط رئيسية لسياسة بريطانيا التعليمية هناك ، بعد دراسة لواقع التعليم قدم دوبس ملاحظات عديدة حول التعليم في مذكرة رفعها الى الحاكم العسكري في 15 شباط عام 1915 انتقد من

خلال المذكرة سياسة التعليم التي كانت متبعة من قبل العثمانيين ، اذ بين ان معظم المعلمين كانوا من الاتراك وكانت تدفع لهم مرتبات عالية لا تتناسب مع اختصاصتهم واولقات دوامهم التي لا تتجاوز ساعتين يومياً ، كذلك تردى الخدمات وذلك الامر دفع الاهالي لعدم ارسال ابنائهم لتلك المدارس (احمد، 1982، صفحة 72) .

اتبعت سلطات الاحتلال سياسة جديدة في التعليم من خلال استخدام اللغة العربية في المدارس الابتدائية ، في حين يكون التدريس في المراحل الدراسية الاخرى باللغة الانكليزية وكانت هناك اقتراحات لتدريس اللغة الاخرى الى جنب العربية ، اذ حاولت سلطات الاحتلال كسب التلاميذ للالتحاق بالمدارس الرسمية وقد تبين ذلك عن طريق الاهالي الذين كان لديهم الرغبة لتعلم ابنائهم اللغة الانكليزية ، وذلك لاغراض تجارية (احمد، 1982، صفحة 70).

اتبعت السلطات البريطانية نظام الجماعة وتجنبت نظام الصفوف ، وكان نظام الجماعة معمولاً به في المدارس الامريكية ، اذ كان لهذا النظام فوائد عديدة منها تقدم للطالب المادة التي تلائمها وطبقاً لقابليته فيجوز لطالب اللغة الانكليزية في الصف المتقدم ان يدرس الهندسة في صف ادنى ، لم تهتم سلطات الاحتلال الى المدارس الثانوية ، اذ تبع نظامها الى مدرسة الرجاء العالي الامريكية ، اذ ركزت السلطات الى المدارس الابتدائية واعتبرتها الركيزة الاساسية وارادت توحيدها على الوجه الاكمل ، ومن النظر ومتابعه التعليم في المراحل الاخرى (ايرلند، 1949، صفحة 89).

اما الاجور الدراسية والتي فرضت على الطلاب ومقدارها روية واحده لكل تلميذ في المدارس الرسمية ، فضلاً عن اعفاء الطلبة من شريحة الفقراء ولكن بشرط موافقة الضابط السياسي على ذلك ، كما الملاكات التدريسية لم تكن كافية للمدارس الابتدائية التي كانت السلطات البريطانية تنوي افتتاحها ، اذ تم الشروع في توفير العدد الكافي من المعلمين من خلال اعدادهم عن طريق دورات تدريبية ، وكان للمدرسة الامريكية في البصرة الدور المباشر في اعدادهم مقابل مساعده مالية مقدارها ( 5000 ) تم تقديمها الى المدرسة ، وقد اختصرت الدراسة في الدورة لاعداد المعلمين على تدريس اللغة العربية والانكليزية ، بالاضافة طرائق التدريس والتي لها اهمية كبيرة في ذلك الامر (احمد، 1982، صفحة 70).

لم يكن العدد كافي من قبل المعلمين الذين انضموا الى دوره ، على اثر ذلك لجأت قوات الاحتلال البريطاني الى الرجوع الى الاسرى الذين جمعتهم من المناطق والذين لديهم خبرات ومتعلمين ، فضلاً عن الاستعانة ببعض الشباب المتعلمين الذين اخرجوا من وظائف مختلفة ، اذ تعاون هؤلاء مع القوات من اجل فتح مدارس رسمية في البصرة.

بعد ان تخرج عدد من المعلمين بعد انتهاء الدورة التدريبية ، قامت سلطات الاحتلال بفتح مدرستين ابتدائيتين الأولى في البصرة والثانية في ابي ابي الخصيب في شهر تشرين الاول من عام 1915 ، وقد بلغ عدد طلاب المدارس التي ذكرت حيث كان عدد المدرسة الأولى حوالي (61) تلميذ و (57) تلميذ في المدرسة الثانية ، فضلاً على ان اعداد المعلمين لكلاً المدرستين بلغ اربعة معلمين (احمد، 1982، صفحة 77).

بعد هذه التجربة التي اثبتت نجاحها ، قامت قوات الاحتلال بفتح دورات اخرى للمعلمين، وذلك من اجل فتح مدارس اخرى ترسخ نفوذها ، اذ ساعد ذلك على فتح مدرسة ابتدائية في الزبير في شهر حزيران عام 1916 ، اذ كان على التلاميذ تلك المدرسة حوالي (35) تلميذ ، فضلاً عن الملاك التعليمي للمدرسة كان ثلاثة معلمين اثنين منهم درسوا اللغة العربية والآخر درس اللغة الانكليزية ، وتم تخصيص مبلغ مالي لتلك المدرسة قدره 4060 روبية ، كما ازدادت اعداد المدارس نظراً لتغير سياسة التعليم عن العهد العثماني ، اذ افتتحت مدرسة ابتدائية في شهر تشرين الاول من عام 1916 في مدينة الناصرية ، وكانت تلك المدرسة بجهود من الاهالي حيث رفضت سلطة الاحتلال افتتاح مثل هذه المدارس ، وذلك لعدم وجود ماده اللغة الانكليزية في منهاجها ، فضلاً عن انها لم تدعم سياستها وبعد الاتفاق مع سلطة الاحتلال تحولت الى مدرسة رسمية وعين لها معلم لغة انكليزية ، حيث بلغ عدد تلاميذ تلك المدرسة في بدايه فتحها (48) تلميذ ثم زاد ذلك العدد في العام المقبل ليصبح (126) تلميذ (احمد، 1982، صفحة 80).

وتنفيذاً لسياسة الاحتلال التعليمية اصبح فتح المدارس في ازدياد ، لاسيما بعد ان فتحت مدرسة في قلعة صالح في شهر حزيران 1917 ، استمر الحال كما هو عليه في فتح مدارس اخرى لعام 1918 ومنها في مناطق الشطرة وسوق الشيوخ وعلي الغربي (الهالي، 1959، صفحة 46).

نظراً لارتفاع عدد المدارس عملت سلطات الاحتلال الى رفع اعداد الملاكات التدريسية في المدارس الابتدائية ، اذ جرى افتتاح مدرسة عالية وقد اعطيت اسم دار المعلمين العليا في تموز لعام 1918 ، وكانت تعطى دروس في اللغة العربية والانكليزية ومواد صحية تربية واخلاق ، اما التعليم الثانوي لم تهتم به سلطات الاحتلال وربما يرجع الى اسباب متعددة منها ارادت كسب جيل جديد من خلال تلاميذ الابتدائية ، وهذا الأمر ادى الى اقتصار ذلك التعليم الى المدارس الاهلية والتبشيرية ، لاسيما مدرسة الاليناس الاسرائيلية والمدرسة الامريكية في البصرة (الهالي، 1959، صفحة 47).

الجانب النسوي لم يتلقى اهتمام من قبل سلطة الاحتلال واقتصر ذلك على المدارس الاهلية والاجنبية، فضلاً عن السماح للبنات الدراسة في مدرسة القرنة من خلال فتح صف لدوام البنات فيها.

اما الجانب الأداري اعطي الى دائرة عرفت بأسم دائرة معارف البصرة في عام 1917 ، وتكونت من مجلس يدعى مجلس المعارف اوكل اليه مهمة الاشراف على شؤون المعارف في المنطقة وتم اختيار جون فان ايس لرئاسة المجلس وذلك لمعرفته وخبرته في التعليم وكذلك بطبيعة احوال السكان ، وقد استمر في هذا المنصب حتى السيطرة البريطانية على بغداد في شهر اذار من عام 1917 بعدها حققت البصرة بنظارة المعارف في بغداد في عام 1918 (لونكريك، 1988، صفحة 154).

كانت بغداد في نهايه الحكم العثماني لديها (71) مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية واخرى للصناعة ودار المعلمين وكلية الحقوق ، بعد ذلك قامت سلطة الاحتلال بفتح دائرة المعارف ، حيث كانت الحاجة الى المعلمين كبيرة لذلك فتحت دورات في دار المعلمين مدتها ثلاث اشهر، وسرعان ما كانت هناك مشكلة وهي نقص الكادر التدريسي الذي شمل ثلاثة منهم سوريين وواحد عراقي ، فضلاً عن مدرس من المدرسة الامريكية درس مادة الطرائق ، اما موضوعات التدريس للطلبة كانت متنوعة منها التاريخ الاسلامي والاوربي الانكليزية والرياضيات والطبيعات ، بعد التغير الاوضاع ادى ذلك الى فتح مدارس منها في الراشدية والديوانية وكربلاء والمحمودية والخالص وطوريج والهندية ، وقد اصبحت تلك المدارس رسمية بعد ان تم تعيين لها كادر تعليمي بعد ان ازداد عدد المعلمين من خلال الدورات التي تم ذكرها ، ان النظام الذي كان سائداً آنذاك هو نظام الصفوف والذي ينص عدم نجاح طالب الى صف اخر مالم ينجح في نهاية السنة (لونكريك، 1988، صفحة 157).

نلاحظ ان التعليم خلال فترة السيطرة البريطانية لم يشهد تحسن ، اذ اتجهت قوات الاحتلال البريطانية الى تثبيت دعائم سيطرتها على البلاد ، واقتصر دعمها على مدارس خاصة لاسيما منها مدارس الارساليات التبشيرية والطوائف الاخرى وذلك لاسباب خاصة بها (الهالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني 1914-1918، 1975، صفحة 60).

ايضا شهدت مدة السيطرة البريطانية تأسيس عدد من المعاهد الصحية في العراق ، وكان السبب من وراء ذلك تدهور الاوضاع الصحية في العراق وانتشار الأمراض، وكانت تلك المعاهد مستقلة عن المستشفيات ، ومنها المختبر المركزي الملحق به معهد باستور عام 1918، والذي كان يعالج داء الكلب ، فضلاً دار التمريض بالعام نفسه ، كذلك كان هناك معهد استحضار اللقاح ضد مرض الجدري ايضاً في العام 1918 ، كما فتح معهد الاشعة رونتكن والمختبر الكيميائي في العام 1919 ، وهذه المعاهد الطبية تعتبر خطوه نحو الامام في مجال التعليم (الهالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني 1914-1918، 1975، صفحة 66).

بعد تشكيل الحكومة الوطنية وفتح وزارة المعارف ، فتح لها اقسام في اغلب مناطق العراق على اثر ذلك فتحت مدارس جديدة من المدرسة الجعفرية التي استفاد منها غير المسلمين كذلك تم قبول الطلاب من اليهود في المدارس الرسمية وقد افادت تقرير اعوام 1922 حوالي (428) من الذكور واناث (592) ، كذلك اصبح دور للمدارس اليهودية في العراق وبمساعدة البريطانيين، وذلك لنشر الفكر اليهودي ، اذ تأسست في البصرة في اذار 1922 الجمعية الصهيونية في بلاد ما بين النهرين (الجشعمي، 2012، الصفحات 10-11).

اما تعليم البنات بشكل منفرد بدأ في الثلاثينات ، اذ انشئت اول ثانوية للبنات في عام 1930 كذلك تم انشاء اول معهد للفنون الجميلة في بغداد في عام 1932.

ابتدأ العام الدراسي 1932-1933 بتطبيق المنهج الثانوي الجديد ، على اعتبار الدراسة الثانوية خمس سنوات ثلاثة متوسطة واثنان ثانويه ، وفي نفس العام الدراسي كان هناك دور المعلمين والمعلمات وكان هناك ايضا في نفس العام الدراسي تعليم عالي يضم كلية الحقوق وكلية الطب ، وفي عام 1936 تم فتح كلية الصيدلة ، وفي عام 1937 تم فتح دار التدريب الرياضي (الحسن، 2011، الصفحات 26-27).

في 1940-1941 تم فتح مدرسة للمتفوقين للطلاب في جميع انحاء العراق بأسم كلية الملك فيصل الاول ، وفي عام 1942-1943 افتتح معهد التربية البدنية وذلك لحاجة المدارس الى الرياضة ، ثم تطور التعليم في العراق وازدادت الحاجة الى فتح دور معلمين في مناطق جديدة ، اذ افتتح في عام 1944-1945 في المحاويل والحلة وبعقوبة وكانت الغاية من ذلك تطور التعليم في الريف (رضا، 1966، صفحة 179).

مع قيام النظام الجمهوري في العراق عام 1958، اذ حدثت تغييرات في العراق ليس سلسية فقط وانما شملت جميع مجالات الحياة ومن بينها التعليم ، حيث شهد التعليم تطوراً ملحوظاً نتيجة السياسات الإصلاحية التي هدفت إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الوطنية. وذلك عن طريق قانون وزارة التربية والتعليم لعام 1958 الذي من خلاله تم الحاق شؤون المدارس الابتدائية بالادارة المحلية بما يخص تأسيس المدارس الجديدة والاشراف على نشر التعليم الابتدائي (المحمداوي، 2018، صفحة 210).

تم التركيز على تعزيز التعليم الابتدائي وجعله مجانياً وإلزامياً للأطفال، مما أدى إلى ارتفاع معدلات الالتحاق بالمدارس. كما عملت الحكومة على إنشاء عدد كبير من المدارس في المدن والأرياف، سعياً لسد الفجوة التعليمية بين المناطق الحضرية والريفية. تم أيضاً تطوير المناهج الدراسية لتواكب متطلبات العصر، مع التركيز على القضايا الوطنية والعلوم الحديثة، مما ساهم في تحسين جودة التعليم (المحمداوي، 2018، صفحة 215).

لذا كان مفتاح أحداث أي نهضة أو تغير جذري سواء أكان إجتماعياً أم اقتصادياً وحتى سياسياً هو نشر التعليم وتوسيعه بشكل يستوعب كل الأعمار ، مما يساهم في القضاء على هذه العادات القديمة ، لذا فإنه بعد الثورة اتسع التعليم أفقياً وعمودياً وتغيرت فلسفته وأهدافه واتجاه الأوضاع الوطنية الجديدة ، وانتشرت الدعوات لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم ، حيث ان هدف الثورة هو تحقيق نقلة نوعية في المجتمع عن طريق نشر التعليم في جميع أنحاء العراق ، لان قادة الثورة وضعوا نصب أعينهم أن أي عملية بناء للوضع الجديد في العراق يجب ان تبدأ بالإنسان العراقي الذي عاش الحرمان والفقر والمرض والجهل، فعند توفير فرصة التعليم لكل مواطن فأن ذلك يخلق منه مواطن قادر على بناء وطنه وتمميته ووضعه في الطريق الصحيح للتقدم.

لقد تطورت كل مرافق التعليم خلال هذه الفترة تطوراً بالغاً وانعكس في جميع مراحلها، وقد تعاضم الأنفاق على الخدمات التعليمية بشكل كبير ففي عام 1958 كانت ميزانية التعليم تبلغ (7 ، 15) مليون دينار، ارتفعت خلال عشر سنوات إلى (2 ، 55) مليون دينار في عام 1968، فيما يتعلق الأمر بالتعليم الابتدائي كان العمل يجري على جعل التعليم إلزامياً وشاملاً للإناث والذكور ، غير ان ذلك كان يعيقه عدم توفير الإمكانيات لذا كانت السياسة التعليمية تقوم على مبدأ قبول أي طفل بلغ سن الدراسة الابتدائية دون وضع أي شروط أو إجراءات روتينية قد تعيق دخول الأطفال إلى المدارس (المحمداوي، 2018، صفحة 220).

ويمكن اعتبار التوسع في إنشاء المدارس من اكبر الإنجازات ، وكانت هذه المباني تعتمد على أن تستوعب أعداد متزايدة من التلاميذ ، كما زادت ميزانية وزارة التربية في السنة الأولى للثورة فقط بمقدار الثلث ، وتوسع التدريس في المدارس ولاسيما في المدن مرتين في اليوم، مرة خلال النهار ومرة في المساء لتتمكن كل مدرسة من استيعاب عدد اكبر من الطلبة ، كما وجهت الدعوة لطلب مدرسين من البلدان المجاورة وعلى الأخص من مصر لسد النقص في إعداد المدرسين في العراق ، كما كانت هناك المدارس الأهلية (الخيكاني، 2017، صفحة 65).

لقد كان للوضع السياسي والصراع على الساحة السياسية تأثيراً سلبي في مسيرة العملية التعليمية رغم ما تحقق من إنجازات في مجال توفير الفرص التعليمية في كل مراحلها ، فقد عرقل الصراع السياسي تنفيذ الكثير من الخطط والمشاريع منها مشروع مكافحة الأمية ومشروع التعليم الابتدائي الإلزامي والتوسع في مشروع التغذية المدرسية وتطوير مستويات التعليم بمراحله كل ، كما انسحب الصراع أيضاً على الأجواء التعليمية فانشغلت الهيئات التعليمية في صراعات داخلية في كثير من المدارس والمعاهد مما ترك أثارا سلبية على علاقات المعلمين وعلى المستوى التعليمي والنتيجة التربوية (الخيكاني، 2017، صفحة 12).

ورغم بعض المعوقات إلا أن التوسيع في مجال التعليم وإتاحته أمام الجميع وبناء الجامعة الجديدة اسهم في نشر الثقافة وزيادة إعداد المعلمين ، كما أن فتح المجال أمام حرية التعبير والنشر اسهم في زيادة إعداد الكتاب والكتب المطبوعة والمتاحة أمام الجميع مما اسهم في نشر العلوم والأفكار الاجتماعية المتميزة خلال تلك الفترة .

تراجع التعليم في العراق خلال المدة التاريخية 1963-1968 ، وذلك بسبب احداث العراق السياسية ، ومن اجل تحسين الوضع التعليمي في العراق تم وضع مشروع الخطة الخمسية 1965-1970 ، اذ استهدف تلك الخطة التوسع في التعليم الابتدائي وجعله إلزامياً في تلك المرحلة للبنين خلال سنوات الخطة ومن ثم ينفذ امر الالزام لتعليم البنات في السنوات العشر المقبلة ، فضلاً عن الاهتمام بالتعليم العام مع اضافة عام دراسي ثالث الى مرحلة الاعدادية عام 1967-1968 وعدت السنة الاولى من تلك المرحلة عامة لجميع الطلبة على ان تنقسم ابتداءً من السنة الثالثة الى فرعين هما ادبي وعلمي ، اما التعليم المهني فلم يشهد اي تحسن او تغيير في مؤسساته او محاولة التوسع فيه ، وانما كان الاهتمام على مجال التعليم العام بالمقابل اهمل الجانب المهني للتعليم (البزاز و اخرون ، 1995 ، صفحة 293).

في العقود التالية، وخاصة خلال السبعينيات، شهد العراق قفزة نوعية في قطاع التعليم نتيجة للطفرة النفطية التي وفرت موارد مالية كبيرة للدولة. استثمرت الحكومة في بناء الجامعات وتوسيع التعليم العالي، مما أدى إلى زيادة عدد الخريجين في مختلف التخصصات. كما تم تعزيز دور المرأة في التعليم، إذ ارتفعت نسبة الفتيات الملتحقات بالمدارس والجامعات. ومع ذلك، تأثر قطاع التعليم بشكل كبير في العقود اللاحقة بسبب الحروب والحصار الاقتصادي خلال التسعينيات، مما أدى إلى تدهور البنية التحتية التعليمية وانخفاض مستويات الجودة، وهو ما ترك أثراً سلبياً على نظام التعليم في العراق (البزاز و اخرون ، 1995 ، صفحة 265).

### الخاتمة

- 1- اقتصر التعليم في البداية على المدارس الدينية ، وذلك لتعليم ابناء الولايات العراقية أمر الدين الاسلامي والقرآن الكريم ، اذ كانت تلك المدارس ملحقة بالمساجد والجوامع العامة.
- 2- أثرت التنظيمات والاصلاحات العثمانية ، والنقرب مع الغرب الى فتح مدراس جديدة مختلفة عن المدارس القديمة الكتابية ، وكانت تلك المدارس تعتمد على اساسيب عديدة ، لاسيما منها الارساليات التبشيرية وغيرها ، اذ اصبح لتلك الارساليات اطماع في العراق بسبب موقعه الجغرافي المهم.

- 3- شهد العام 1869 تغير في تاريخ التعليم في العراق ، وذلك بتوالي الوالي مدحت باشا الولاية ولمدة ثلاثة سنوات ، اذ كان من زعماء حركة الاصلاح الحديث في الدولة العثمانية ، اذ أمر بفتح مدارس جديدة فضلاً عن اهتمامه بجوانب التعليم بكافة مجالاته.
- 4- تراجع التعليم في العراق بعد السيطرة البريطانية بالرغم من الدعاية البريطانية بشأن التعليم ، بقي الحال نفسه حتى بعد تشكيل الحكومة العراقية في عام 1921 ، والسبب لتراجع التعليم يعود الى ضعف ميزانية وزارة المعارف خلال مدة العشرينيات، اذ لم تستطع تلبي حاجات التعليم في العراق انذاك.
- 5- كان التعليم ضمن ابرز اتجاهات الحكومة خلال العهد الملكي والجمهوري لغرض النهوض بالتعليم وتنمية الانسان العراقي بما يتوافق مع التطور العالمي .

#### المصادر

- 1- كريم، صموئيل نوح، 1973 ، السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم) ترجمة فيصل الوائلي ، وكالة المطبوعات ، الكويت.
- 2- النعيمي، شيماء علي احمد عبد الرزاق، 2001، المناهج التعليمية في العراق القديم في ضوء النصوص المسماوية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الادب ، جامعة الموصل.
- 3- لوكاس، كرستوفر، 1980، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم ، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، الموسوعة الصغيرة 61 ، منشورات دار الجاحظ ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد.
- 4- الهاللي، عبدالرزاق، 1959، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638-1917، مطبعة المعارف، بغداد.
- 5- نعمة الله، ابراهيم محمد عبداللطيف، 2004، الزملة في اواخر العهد العثماني 1864-1914، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة.
- 6- العبيدي، غانم سعيد، 1970، التعليم الاهلي في العراق في مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، مطبعة الادارة المحلية، بغداد.
- 7- احمد، ابراهيم خليل، 1982، تطور التعليم الوطني في العراق 1869-1932، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة.
- 8- عمر، عمر عبدالعزيز، 1984، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، دار النهضة العربية، لبنان.

- 9- حسن، جاسم محمد، 1975، العراق في العهد الحميدي 1876-1909، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد.
- 10- هرشلاغ، 1973، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، ترجمة:مصطفى الحسيني، بيروت.
- 11- المرسومي،غانم دحام فهد، 1986، التعليم في العراق 1932-1945، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد.
- 12- ايرلند، فليب، 1949، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة:جعفر الخياط، بيروت.
- 13- لونكريك، ستيفن همسلي، 1988، العراق الحديث 1900-1950، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة حسام، بغداد، ج1.
- 14- الهلالي، عبدالرزاق، 1975، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني 1914-1918، مطبعة المعارف، بغداد.
- 15- الجشمعي، سهير هاتف محمد، 2012 تطور التعليم الصحي في العراق الكلية الملكية أنموذجا 1927-1958 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية التربية بنات، جامعة بغداد.
- 16- الحسن، حيدر غانم عبد، 2011، موقف المجلس النيابي العراقي من حركة التعليم في العراق 1925-1935 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة.
- 17- رضا، محمد جواد، 1966، التعليم الثانوي، مطبعة المعارف، بغداد.
- 18- المحمداوي، غصون مزهر حسين، 2018، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق 1958-1968، دار الحداثة ، بغداد.
- 19- الخيكاني، يعقوب حبيب ابراهيم، 2017، التعليم في مدينة الحلة 1968-1979، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، 2017.
- 20- البزاز، حكمت عبدالله واخرون، 1995، ملامح التربية والتعليم في العراق في القرن الحادي والعشرون.